تأويل اللون في القران الكريم

والحديث النبوي الشريف

أ.د. عياض عبد الرحمن أمين

المبحث الاول

مقدمة

الفن العربي الاسلامي، مصدر الثراء اللوني كان وسيظل كنزاً عظيماً لصور لا تحصى من الالوان، فهو قائم على الخيال والتصور، وقد وجدت الالوان مكانتها التي لازمت الفنان العربي المسلم والهمته من صور الجمال ما فاق كل خيال، وكانت تتراءى وتتجسد له في مجالات العمارة متمثلة في الرسوم الجدارية وفي زخرفتها المطعمة بالفسيفساء ولاحت له في اسنة الرماح والرايات والالوية وفي الشعر والالبسة والفنون المختلفة من رسم وخط وزخرفة وخزف ومنمنمات وتزويق.

وعليه فان الالوان في الابداع الفني للفنانين تراءت وتمثلت لهم شخوصاً رسموها بألوانها وخطوطهم، فاستحالت صوراً لونية نابضة بالحياة، لذلك استحقت ان يخصص لها بحث بهذا المستوى يدور على دلالاتها ومعانيها عند الفنانين العرب المسلمين.

وفي الحضارة العربية الاسلامية كان للفكرة السائدة حول كراهية التصوير لكل شيء فيه روح اثرها في توجيه الفنانين الى رسم المنسوجات والاثاث والابتعاد عن تلوين المنحوتات الممثلة للاشياء الحية، ذلك ان الاصنام التي كانت تعبد تقرباً الى الله زلفى حطمها المسلمون بعيد منحهم مكة، وظل هذا الوضع على ما هو عليه في عهود الاسلام الاولى الى ان كانت تلك الصلات التي عقدت بين الشعب العربي الاسلامي وشعوب اخرى ذات حضارات تختلف عن الحضارة الاسلامية وتحمل فنوناً مختلفة منها فن التصوير وفن النحت، غير ان المسلمين كانوا لا يزالون قريبي العهد بتعاليم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الخالصة التي لا تعرف لهو الحياة وترى فيما

يصرف عن وجه ربها شيئاً محرماً ولهذا رأينا المساجد الاولى تبنى على طريقة معمارية خالية من كل رقش او نقش ومن الاسراف في مباهج الحياة [١].

ولا بد من الاشارة هنا الى ما يمثله التراث العربي الاسلامي من حصيلة حضارية ثرة، ويسجل في اسفار الامم حضوراً متميزاً له دوره في التأثير وقدرته في الابداع وصورته المباشر وغير المباشرة[٢].

اخذ الفن العربي الاسلامي مكانه بين فنون العالم بعد ان سجل دوره المتميز في التأثير الواضح في المدارس الفنية والصناعات وتبقى اللمسات العربية والطابع الاسلامي من الخصائص التي تعطي لهذا الفن صوته الرائع وتسجل له البراعة المعروفة.

هذا وتعد العمارة والفنون المختلفة من موضوعات الحضارة العربية الاسلامية المهمـة، ((من حيث انها تمثل الاثار الباقية التي تعبر بشكل ملموس عن الصورة المادية لتلك الحضارة في كثير من مجالاتها))[٣].

ولعل من المفيد بمكان ان نذكر ان كثير من الديانات اعطت للالوان قيمة خاصة، واتخذت لها دلالات رمزية، فالاصفر لون مقدس ليس في الصين والهند ولكن كذلك في المسيحية الاوربية، ولارتباط اللون الاصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزاً لاله الشمس رع)) [٤].

ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الابيض عند المسلمين لباساً في اثناء الحج والعمرة وكفناً للميت، واستخدم القران الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزاً للفوز في الاخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا وذلك في قوله تعالى : ((يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)) وقوله تعالى : ((واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة

---

[١]) عكاشة، ثروت : التصوير الاسلامي والديني، ص١٣، وينظر كذلك : علام نعمت اسماعيل : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية، ص١٨.

[٢]) حسين، صلاح العبيدي : الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، ص٤.

[٣]) زغلول، عبد الحسين سعيد : العمارة والفنون في دولة الاسلام، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص٩.

[٤]) عمر، احمد مختار : اللغة واللون، ص١٦٤.

الله))، واما اللون الاخضر فيمثل في العقيدة والاخلاص والخلود والتأمل الروحي، ولارتباطه بالحقول والحدائق والاشجار ارتبط بالنعيم والجنة في الاخرة [٥].

هذا ويعد اللون الاخضر لون الالوان بالنسبة للمسلمين، وقد ورد في القران الكريم وصف ملابس المسلمين في الجنة بالخضرة في آيتين هما : ((عليهم ثياب سندس خضر واستبرق))، وكما ورد اللون الاخضر وصفاً لبعض مقاعد الجلوس في الجنة : ((متكئين على رفرف خضر)).

اما الاحمر فهو رمز لجهنم في كثير من الديانات إذ توصف جهنم بانها حمراء، ولقد اختلفت معاني ورمزية الالوان منذ القدم عند مختلف الشعوب، واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية، عن طريق التقاليد والعادات، كان يقرن اللون الاحمر بالاحتفالات والازرق بالتفوق والاخضر بالطبيعة، والاسود بالموت والاصفر بالشمس، بالاضافة الى ذلك فان الحضارات المختلفة قامت عبر العصور، باعطاء معان ودلالات رمزية لبعض الالوان دون غيرها فكما هو معروف ان اللون الاسود في الحضارة الغربية رمز الحداد والموت والالم، والاحمر رمز الابتهاج، بينما يرمز اللون الابيض في الحضارة العربية الاسلامية (كما تقدم ذكره) الى السعادة الابدية واحياناً الى التعبير عن الحزن والتفجع

ومن هنا نجد ان الالوان دلالات معينة وارتباطات بالظروف والاحداث التي مررنا بها، وفي هذا تفسير للاسباب التي تجعل الناس يميلون الى الوان دون اخرى.

وتبرز اهمية دراسة ((دلالات اللون في القران الكريم والحديث النبوي الشريف)) من خلال تفرد امة العرب حضارياً بهذا الارث الحضاري حتى ان القران الكريم ذكر دلالاته وقيمه في الكثير من الآيات والسور، وهذه الدراسة تدعم ثقافتنا الفنية وتعزز من صلتنا في التاريخ المحلي والانساني كما وان المكتبة العربية

تحتاج الى دراسة شاملة للالوان ودلالاتها حيث يستفاد منها في مجالات الفن التشكيلي وغيرها. ويهدف البحث الحالي الى الكشف عن دلالات اللون في القران الكريم والحديث النبوي الشريف، والتعرف على الجوانب الفنية والتشكيلية لهذه الدلالات.

---

[٥]) نفسه، ص١٦٥.

حدود البحث :

تتحدد هذه الدراسة في التعرف على دلالات اللون في القران الكريم والحديث النبوي الشريف من خلال المسح الميداني للسور والآيات القرآنية وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة.

المبحث الثاني

الالوان في القران الكريم والحديث النبوي الشريف

لقد ابدع (الله) الخلاق العظيم، جل وعلا، هذا الكون العظيم باهر الايات ورائع الصور، ووشح عوالمه العلوية والسفلية بالبهجة والنضارة والقى على كل ما خلق من اردية زواهي زائنات من (الالوان المختلفة)، وما زج هذه الالوان المختلفة بالانوار والاضواء، فزادت ازيانها الخلابة ألقاً ووهجاً، واحدثت جملتها، وقد تحابت وتعاشقت وتمازجت، هذه المشاهد الروائع الفواتن تأسر النواظر، ويقف الناظر المتفكر امام كل مشهد منها مشدوهاً ومسحوراً لا يملك من اندهاشه وتعجبه الا ان يهتف : ((سبحان الله الخلاق العظيم))[٦].

وان القران الكريم ذكر الوان هي الابيض والاسود والاحمر والاصفر والاخضر والازرق[٧]، وقد ذكرت هذه (الالوان الستة) وغيرها في (القران الكريم) في مناسباتها[٨].

هذا ولقد دارت الالوان كثيراً في القران الكريم والحديث النبوي الشريف بدلالات مختلفة ومتعددة ومن ذلك انها اتخذت لها دلالات رمزية، منها ربط بعض الممارسات

---

[٦]) الاثري، محمد بهجة : الالوان.. في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية، ص٨.

[٧]) العلي، صالح احمد: الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الاولى،مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١٩٧٥/٢٦، ص٧٧.

[٨]) الاثري : المصدر السابق نفسه، ص٩.

الدينية بالوان خاصة [٩]، وقد نص القران الكريم على ان في اختلاف السنة البشر والوانهم آيات لمن يفكر في حكمة الله وعظمة ملكه[١٠].

ولقد اشار الدكتور احمد مختار عمر الى مواضع عديدة في القران الكريم والحديث النبوي الشريف وردت فيها هذه الالوان، فوجد لفظ (لون) مفرداً او مضافاً مرتين في الاية ٦٩/البقرة، وجمعه (الوان) مضافة الى الضمائر (الوانهم) في الاية ٢٢/الروم، و(الوان) في الاية ١٣ و٦٩/النحل، و٢٨/فاطر و ٢١/الزمر، و(الوانها) ٢٧/فاطر مرتين، وفسرت كلها بالحالات الصيغية التي تكون عليها الاجسام ونحوها، وبان ما ذكر منها من الايات : ١٣/النحل، ٢٢/الروم، و٢٧،٢٨/فاطر، ٢١/الزمر يصح ان يفهم منها الجنس، او النوع، او الصنف من الاشياء [١١].

وورد اللون الابيض في احد عشر موقعاً في القران الكريم، وكانت دلالاته تشير الى الصفاء والنقاء والعمل الصالح في الدنيا والاخرة [١٢]، قال تعالى : ((واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله))[١٣]، وقال جل شأنه ((وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر))[١٤] وقال تعالى ((و نزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين))[١٥]، وكذلك في غيرها، وورد هذا اللون في الحديث النبوي الشريف مؤكداً هذه الدلالات بشكل عام[١٦].

---

[٩]) ينظر اشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، ص٤١.

[١٠]) جاء في محكم تنزيله ((ومن اياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين)) سورة الروم، اية ٢٢.

[١١]) اللسانيات، ص٤١.

[١٢]) اللسانات، ص٤٣، وقد احصى الشيخ الاثري هذه المواضع في صفحة ١٩ منها.

[١٣]) سورة ال عمران، اية ١٠٧.

[١٤]) سورة البقرة، اية ١٨٧.

[١٥]) سورة الاعراف اية ١٠٨، وتنظر السور، طه/٢٢، الشعراء/٣٣، النحل/١٥ والقصص/٣٢ والصافات/٤٦ ويوسف/٨٤ وفاطر/٢٧ وال عمران/١٠٦.

[١٦]) اللسانات، ص٤٥.

وذكر السواد في كتاب الله العزيز سبع مرات، ارتبطت خمس منها بالوجه وما يتحول اليه من سواد في الدنيا والاخرة نتيجة سوء الافعال[١٧]، قال تعالى : ((واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم))[١٨] وقال تباركت كلماته : ((ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة))[١٩] وقال جل جلاله : ((واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم))[٢٠] وغير ذلك من المواضع، ودل في الحديث النبوي الشريف على كره المسلمين لهذا اللون في الملبس، وعلى لون البشرة، وقد كثر استعماله في الحديث حتى زاد على مائة مرة.

وورد اللون الاحمر في القران الكريم مرة واحدة دل فيها على مشهد وحسن، قال تعالى : ((ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها))[٢١]، وورد في الحديث النبوي الشريف في اكثر من خمسين موقعاً بعضها في معناه الحقيقي، وبعض الاخر بمعنى الابيض، كما جاء بمعنى الاصفر، وقد حمل في احيان عدة دلالات ورموزاً تخرج به عن مجرد اللون، ويبدو ان هذا اللون كان مكروهاً حينما يدل على معان متعلقة بالزينة التي تجلب الفتنة وتشغل عن امور الدين، ووجدنا هذا اللون مرغوباً في دلالته عند الرسول (ص) على لون الابل وهي صفة اداها الشعراء ووصفت به الريح للاشارة الى ما تدل عليه من دمار وخراب[٢٢].

وجاء اللون الاخضر في القران الكريم ليشير الى ملابس اهل الجنة وما ينتظر المسلمين القيم، اذ ورد تسع مرات في كتابنا العزيز[٢٣]، ومن الاماكن التي دل فيها على ثياب اهل الجنة قوله عز من قائل : ((ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق

---

[١٧]) المصدر السابق نفسه، ص٤٦.

[١٨]) سورة ال عمران /١٠٦.

[١٩]) سورة الزمر /٦٠.

[٢٠]) سورة النحل /٥٨، وتنظر سورة ال عمران/١٠٦ وسورة الزخرف/١٧.

[٢١]) اللسانيات، ص٤٩، سورة فاطر /٢٧.

[٢٢]) المصدر نفسه، ص٤٩-٥١.

[٢٣]) احصى الشيخ الاثري هذه المواضع في بحثه ضمن محاضرات الندوات المفتوحة، ص٢٧.

متكئين فيها على الارائك))[٢٤] وقوله جل شأنه : ((متكئين على رفرف خضر حسان))[٢٥]، ودل على القيم في قوله تعالى : ((وهو الذي انزل من السماء ماء فأخر جنا به نبات كل شيء فاخر جنا منه خضراً لخرج منه حباً متراكياً))[٢٦] وغير هذه المواضع، وقد اكد الحديث النبوي الشريف الى الرؤية الخادعة لهذا اللون في قوله : ((اياكم وخضراء الدمن))[٢٧].

ووجد اللون الاصفر خمسة اماكن في القران الكريم وظهر لي ان هذا اللون دل في الاماكن المذكورة على بعض صفات الحيوان والجماد، ففي دلالاته على الحيوان نجد قوله تعالى : ((قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين))[٢٨]، وقوله ((انها ترمي بشرر كالعصر كانه جمالت صفر))[٢٩]، وفي دلالته على غير ذلك جاء قوله تعالى : ((ولئن ارسلنا ريحاً فراوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون))[٣٠]، وقوله ((ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً))[٣١]وقوله ((ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً))[٣٢] وفي الايات الثلاث الاخيرة اشارة الى النبت الذي يصفر ويجف.

وفي الحديث النبوي الشريف استعمل هذا اللون استعمالاً عاماً من جانب الملبوسات وتزيين الهندام واللحية[٣٣]، وهناك اشارات الى ورود معنى هذا اللون مطابقاً لمعنى اللون الاسود، اذ قال ابو عبيدة وابن قتيبة بان الصفراء في قوله تعالى : ((صفراء

---

[٢٤]) سورة الكهف /٣١.

[٢٥]) سورة الرحمن /٧٦.

[٢٦]) سورة الانعام /٩٩ وتنظر السور يس/١٠ ويوسف الايتين/٤٦،٤٣ والرحمن/٧٦ والانسان/٢١ والحج/٦٣.

[٢٧])ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث،والاثر تحقيق احمد الزاوي ومحمود محمد الطنطاوي، ٤٢/٢.

[٢٨]) سورة البقرة/٦٩.

[٢٩]) سورة المرسلات الايتان /٣٢-٣٣

[٣٠]) سورة الروم /٥١.

[٣١]) سورة الزمر/٢١.

[٣٢])سورة الحديد/٢٠.

[٣٣]) اللسانيات، ص٤٢.

فاقع لونها)) هي سوداء كما فسر بعض المفسرين قوله تعالى ((جمالت صفر)) على معنى ابل سود شابها شيء من الصفرة[٣٤]، وربما اشار لنا هذا التفسير الى ان الذوق العربي كان يفضل اللون الاسود في بشرة ماشيتهم.

وارتبط اللون الازرق في القران الكريم والحديث النبوي الشريف بالشيء المكروه، وقد ورد هذا اللون في القران الكريم مرة واحدة، قال تعالى : ((ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً)) [٣٥] أي زرق الابدان، وورد في الحديث النبوي الشريف ثلاث مرات ٧

وجاءت الالوان الفرعية في القران الكريم بدلالات متعددة اذ جاء لون ((الدهمة)) في القران الكريم دالاً على شدة اخضرار الزرع اشارة الى ما يعنيه ذلك من النعيم والرضاء عند اهل الجنة، وورد هذا اللون في القران الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : ((ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان))[٣٦] والدهمة عند العرب السواد، وانما قيل للجنة (مدهامة) لشدة خضرتها.

وجاء لون ((الحوة)) وهو سواد الى خضرة و حمرة الى سواد في القرآن الكريم دالاً على تغير لون النبات بفعل قدرة الخالق جل وعلا،وجاء هذا اللون في قوله تعالى ((سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى))(٤)[٣٧]

وورد((الحور)) في صفة النساء البيض في الجنة،قال تعالى ((وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون)) (٥).[٣٨]

ومن الالوان التي وردت في القرآن الكريم في صفة فعله تعالى في خلقه اللونان الوردي و((الدهني)) وقد وردا معاً في قوله تعالى :((فأذا انشقت السماء فكانت وردة

---

[٣٤]) ينظر النفسير الكبير للفخر الرازي، ٢٧٧/٣٠.

[٣٥]) سورة طه /١٠٢.

[٣٦]) سورة الرحمن الايات /٦٢-٦٣-٦٤.

[٣٧] سورة الاعلى الايات : ١-٢-٣-٤-٥.

[٣٨] سورة الواقعة الآيتين :٢١-٢٢ وورد ذكر الحور في سورة الرحمن /٧٢ والحواريون في سورة آل عمران آية /٥٢

كالدهان))(٦)[٣٩] والوردي لون احمر يضرب الى صفرة حسنة في كل شيء اما الدهني او ((الدهان)) احمر جهنم،وجاء اللون ((اليحموم)) أي الشديد السواد في صفة الكفار الذين يعذبهم الله في جهنم فتسود جلودهم من آثر ذلك،قال تعالى ((واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم)).((٧))[٤٠].

وصفوة القول ان اللون قد وظف في الموروث الفني والثقافي للبشرية منذ غابر عهودهم وكان توظيفه في موروثنا في حقبة معينة مطلقافي مجالات عديدة ومفيداً فيما اتصل منه بالدين الاسلامي عندما يستعمل في تلوين الصور والاشكال التي حرمها الاسلام،ولكن ذلك لم ينل من جماليات اللون في فنون الحياة الاخرى،اذ ان هنالك مجالات ازدهرت فيها الالوان لعل من اهمها فن الزخرفة الخطية الاسلامية،اذ ابتعد الفنانون عن تصوير المخلوقات الحية واتجهت الانظار الى الزخرفة الخطية والهندسية،فقد برع المسلمون اكثر ما برعوا في اربعة اشكال من الفنون اولها التوريق المتشايك،وثانيهما التحوير،وثالثهما التلوين،ورابعهما الكتابة الخطية (١)[٤١].ومن المعلوم ان اللون اثره العام في اضفاء اشراقة حلوة على اشكال الرقش العربي الاسمي الاسلامي،كما يكشف عن احساس مرهف،بالالوان يقترب حيناً ويفترق حيناً اخر عن الوان الطبيعة ...(٢).[٤٢]

ولو انتقلنا الى الالوان التي تم ذكرها في الاسراء والمعراج للرسول محمد (ص) كما اوردها ابن عباس،نراه يقول عند وصف الكواكب والافلاك بالوانها :-السماء الاولى رصاصية اللون(٣)[٤٣]من دخان،والثانية من حديد (٤)[٤٤].بالاضافة الى ذلك فان جبريل عليه السلام حين وصل ليأخذ الرسول (ص) معه الى السماء كان بجناحين اخضرين،وكان مرقاة المعراج الذي نصب على الصخرة يتكون قسماً منه من ياقوت

---

[٣٩] سورة الرحمن /٣٧

[٤٠] سورة الواقعة الآيات ك٤١/٤٢/٤٣

[٤١] عكاشة،ثروت :التصوير الاسلامي،ص٢٤.

[٤٢] عكاشة،ثروت :المصدر السابق نفسه،ص٢٥.

[٤٣] ابن عباس :الاسراء والمعراج،دار العلوم الحديثة،بيروت،١٩٨٣،ص٧.

[٤٤] ابن عباس :المصدر السابق نفسه،ص٩.

احمر اللون (٥)[٤٥]وان ملائكة السماء الثالثة المتكونة من التحاس يحملون الوان خضراء اللون (٦)[٤٦]،اما السماء الرابعة فهي من الفضة البيضاء (٧)[٤٧]والخامسة من الذهب الأحمر([٤٨])، وفيها موطن جهنم التي هي كما وصفها الرسول (ص): (سوداء مظلمة ممزوجة، بغضب الله)([٤٩])، وكانت السماء السادسة من ياقوته خضراء، وحين وصل السماء السابعة كانت من درة بيضاء، ونجد في الأسراء والمعراج كذلك (ديكا) بلونين أصفر وأخضر([٥٠]) وملائكه أشد بياضاً من الشيح([٥١])، مع بحار بيضاء من نور،و أخرى سوداء اللون، ونجد أيضاً (نساء قد سخن أجسادهم سود كالقطران)([٥٢]).

كان للعرب قبل الأسلام كعبات مقدسة عدة يحجون اليها في مواسم معينة وهي منتشرة في جنوب الجزيرة العربية وفي وسطها وشمالها. في هذه الكعبات أقام العرب الأصنام التي كانوا يعبدونها وكان لكل قبيلة معبودها الخاص. من هذه الكعبات، الكعبة المشرفة، كعبة نجران، كعبة الحضر، كعبة تدمر، كعبة بطرا، ومعبد آله الصفويني([٥٣]).

---

[٤٥] نفسه،ص٧

[٤٦] نفسه،ص١٠

[٤٧] نفسه،ص١٥

[٤٨] نفسه، ص١٥.

[٤٩] نفسه، ص١٧.

[٥٠] نفسه، ص٢٤-٢٥.

[٥١] نفسه، ٢٨.

[٥٢] نفسه، ص٢٦،٢٧.

[٥٣] الكعبات (بفتح الكاف العين). جاء في لسان العرب المحيط للعلامة أبن منظور: (الكعبة: البيت المربع، وجمعه كعاب، والكعبة: البيت الحرام لتكعيبها أي تربيطها وقالوا: كعبة البيت فأضيفت لأنهم ذهبوا بكعبة

الى تربع أعلاه، وسمي كعبة لأرتفاعه وتربعه، وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة، وكان لربيعة بيت يطوفون به ويسمونه الكعبات، وقيل: ذا الكعبات، والكعبة الغرفة. قال بن سيدة: أراد لتربعها أيضا".

(عن شريف يوسف: الكعبات المقدسة عند العرب قبل الأسلام، مجلة المجمع العراقي، مج ٩٧٨/٢٩، ص١٨٨.

ومن المعلوم أن تبع أول من كسا البيت كسوة كاملة، فكساها الأنطاع: ثم راى أن يكسوها فكساها الوصايل ثياب حبرة من عصب اليمن، وجعل لها باباً يغلق، ولم يكن يغلق قبل ذلك، وقال تبع في ذلك شعراً ([٥٤]):

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء عصباً وبروداً
وأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لبابه أقليدا
وخرجنا من نوم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

ومهما يكن من أمر فنحن نعلم أن كساء الكعبة بات مستمراً ومتلاحقاً في العصر الجاهلي القريب من عصر الرسالة المحمدية([٥٥]) المباركة، ثم أصبح سنة جارية في العصر الأسلامي منذ أيام النبي عليه الصلاة والسلام وحتى يومنا هذا.

فقد روى في هذا الشأن أن كسوة الكعبية في العصر الجاهلي كانت في أغلب الأحيان الأنطباع (الجلود) والمعافر (البرود) فكساها رسول الله الثياب اليمنية([٥٦])، ثم كساها عمر وعثمان (رض) القباطي ٠جمع قبطية) وهي منسوجات بيضاء رقيقة من الكتان كانت تستورد من اليمن في العصر الجاهلي وصدر الأسلام([٥٧]).

ولا شك في أن جميع تلك الحلل كانت من المنسوجات غير المقطعة أو المحيطة([٥٨])، ثم كساها الحجاج بالديباج([٥٩])، وقد كسيت في بدء خلافة الناصر العباسي كسوة خضراء، ثم كسيت في زمن كسوة سوداء، فأستمر لونها أسود الى الآن([٦٠]).

---

[٥٤] الأزرقي: أخبار مكة قما جاء فيها من أطار، ج١، ص١٣٤.

[٥٥] أبن هشام، السيرة النبوية، ٣٦٩/١.

[٥٦] الواقدي: المغازي، ص١١٠.

[٥٧] وكسيت الكعبة المشرفة في العصر الأموي بالديباج ثم بالحلل التب كان أهل نجران يؤدونها للمسلمين ضمن جزيتهم (البلاذري: فتوح البلدان/ ج١، ص٦٣).

[٥٨] حميد، عبدالعزيز، صور من ألبسة العرب في العصر الجاهلي، مجلة سومر، مج٣٨، ص١٥٢.

[٥٩] الديباج: معربة وهي القماش المنقوش.

[٦٠] الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٢٥٧.

ولا بد أن نتحدث عن الحجر الاسود وماله من أهمية عند العرب وذلك من حيث تفسير طبيعة لونه وسبب إسوداده. فيذكر الأزرقي في أخبار مكة: أنه من أحجار الجنة، وقد جاء به جبريل بنفسه حين بنى النبي أبراهيم وأبنه اسماعيل عليهما السلام الكعبة (ليكون للناس علماً يبتدئون به الطواف)([٦١]). حولها كما طلب ذلك ابراهيم (عليه السلام)، وكان لون الحجر في البداية (يتلألأ تلؤلؤا في شدة بياضه فأضاء نوره شرقاً وغرباً)([٦٢]). وقد قيل إن تحول لونه الى الأسود كان بسبب الحريق الذي حدث في الكعبة زمن الجاهلية، وقيل أيضاً سبب تحوله الى السواد هو بسبب مامسه من (أنجاس الجاهلية.. ومن المشركين الذين كانوا يمسحونه)([٦٣]).

وذكر الترمذي في صحيحه عن أبي عباس (رض) عن رسول الله (ص) أنه قال: (نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم)([٦٤]).

وان العرب في الجاهلية عندما أرادوا هدم الكعبة وبناءها من جديد، منعتهم أفعي لها ظهر أسود وبطن بيضاء، فجاء طائر أسود اللون أبيض البطن أصفر الرجلين فأنقض عليها ومنعها، فأستمروا في البناء.([٦٥])

النتائج

تدور أهم النتائج التي تم التوصل اليها حول جدة الموضوع وطرافته وما تعرض له من أمور نظن أنها تأسيس لمنهج لوني جديد لدراسة جوانب من الفن العربي الأسلامي، تتكشف غوامضها بتتبع آراء الفنانين وأفكارهم وأنطباعاتهم التي عبروا عنها بالألوان وأحاسيسهم النفسية بها، ولعل من أهم النتائج التي يمكن الخروج بها من هذا البحث تتلخص في النقاط الاتية:-

---

[٦١] نفسه، ص٦٥.

[٦٢] نفسه، ص٣٢٨.

[٦٣] الشرقاوي، محمود: أخبار مكة، مطبعة الأهرام التجارية، دار السلام، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٧٢.

[٦٤] نفسه، ص١٧٣.

[٦٥] الأزرقي: المصدر السابق نفسه، ج١، ص١٥٨-١٦١.

١- أثبتت الدراسة ان الألوان منذ نشوء أول الحضارات بدءاً من حضارة وادي الرافدين ووصولاً الى العصر الحديث ارتبطت بمعاني ورمزية عند مختلف الشعوب، واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية، عن طريق العادات والتقاليد، حيث كان يقرن اللون الأحمر بالأحتفالات والأزرق بالتفوق والأخضر بالطبيعة والأسود بالموت والأصفر بالشمس، وبالاضافة الى ذلك أن الحضارات المختلفة قامت عبر العصور بإعطاء معان ودلالات رمزية لبعض الألوان دون غيرها، وفي هذا تفسير للأسباب التي تجعل بعض الناس يميلون الى ألوان دون أخرى.

٢- كما دلت الدراسة على اقتران وأرتباط الألوان منذ قرون عديدة مع اسماء الكواكب السماوية وبدأوا واضحاً في أرتباط اللون الفضي بالقمر والذهبي بالشمس والأحمر بالمريخ والبنفسجي بعطارد.. وهكذا.

٣- ووجد الباحث أن لكراهية التصوير في الحضارة العربية الأسلامية أثره في توحيد الألوان الى رسم المنسوجات والأثاث وتزويق الكتب والمنمنمات والأبعاد عند تلوين المنحوتات الممثلة للأشياء الحية.

٤- عبرت الألوان عن ايمان المسلمين بمعاني تلك الألوان من خلال دلالات المعرفة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد عبرت كذلك عن مظاهر الرخاء والفرح في بعض مراحل الدولة الأسلامية.

٥- وجدت أن الألوان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ذكرت بدلالات مختلفة ومتعددة ومن ذلك أنها أتخذت لها دلالات رمزية منها ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصه، وقد نص القرآن الكريم على أن في أختلاف ألسنة البشر وألوانهم آيات لمن يفكر في حكمة الله وعظمة ملكه.

٦- جاءت الألوان بدلالاتها معانيها في اسراء ومعراج الرسول الكريم محمد (ص) في وصف الكواكب والأفلاك وألوانها للسموات السبع التي تراوحت بين اللون الأبيض والأخضر والأحمر والرصاصي والذهبي.

٧- أثبتت الدراسة انه كانت للعرب قبيل ظهور الاسلام كعبات مقدسة عدة يحجون إليها في مواسم معينة وهي منتشرة في جنوب الجزيرة العربية وفي وسطها وشمالها. وأن تبع أول من كسا البيت كسوة كاملة. فيها ظهر بأن اكساء الكعبة بات أمراً

مستمراً ومتلاحقاً في العصر الجاهلي القريب من عصر النبوة (عصر الرسالة المحمدية)، ثم أصبح سنة جارية في العصر الأسلامي واستمر الى يومنا هذا.

٨- أما الحجر الأسود فأن أهميته عند العرب من حيث نفسية وطبيعة لونه وسبب إسوداده حيث كان الحجر في البداية يتلألأ من شدة بياضه فأضاء نوره شرقاً وغرباً، اذ ذكر الرسول محمد (ص): (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم).

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- أبن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت.٦٣هـ- ١٢٣٢م) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك محمد الجزري المعروف بأبن الأثير، تحقيق، طاهر أحمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٣- أبن عباس: الأسراء والمعراج، دار العلوم الحديثة، بيروت، ١٩٨٣.

٤- أبن هشام: السيرة النبوية، تحقيق وضبط مصطفى السقا، وابراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٦م.

٥- الأزرقي: أبي الوليد عبدالله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من أخبار، تحقيق رشدي الصالح محسن، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩.

٦- حميد والعبيدي، عبدالعزيز، وصلاح حسين، الفنون الزخرفية العربية الأسلامية، بغداد، ١٩٧٩م.

٧- الرازي، الأمام فخرالدين الرازي: التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية، الطبعة الأولى.

٨- زغلول، عبد الحميد: العمارة والفنون في دولة الأسلام، الأسكندرية، ١٩٧٧م.

٩- عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، دار البحوث العلمية، الكويت، ط٢،١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٠- عكاشة، ثروت: التصوير الأسلامي والديني، مطبعة فينيقيا، بيروت، ١٩٧٧م.

١١- علاّم، نعمت علام: فنون الشرق الأوسط في العصور الأسلامية، ط١، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٢- الواقدي: مغازي الرسول (ص)، تحقيق مارسدس جونس، مطبعة جامعة أكسفورد، مصر، ١٩٤٨م.

الدوريات

١- الأثري، محمد بهجة: الألوان.. في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية، تأليف محمد بهجة الأثري، محاضرات الندوات المفتوحة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢- حميد، عبدالعزيز: صور من ألبسة العرب في العصر الجاهلي، مجلة سومر، مجلد ٣٩، ١٩٨٣م.

٣- شريف، يوسف: الكعبات المقدسة عند العرب قبل الأسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد (٢٩)، ١٩٧٨م.

٤- العلي، صالح أحمد: الوان الملابس العربية في العهود الأسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٢٦) و (٢٧) ١٩٧٥م و ١٩٧٦م.